# مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالإهية جميع مصنوعاته، وشهدت بأنه الله الذي لا إله إلا هو بما أودعها من عجائب صنعته وبدائع آياته، وهو الله الذي سبحت بحمده السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال، والشجر والدواب والآكام والرمال، وكل رطب وكل يابس، وكل متحرك وكل ساكن وكل حي وكل ميت ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء:٤٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح للقلب إلا في الإخلاص له وتوحيده وحبه، إذا أطيع شكر، وإذا عُصي تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وإذا عبُد أثاب، سبحانه وبحمده.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وخليله، المبعوث بالدين القويم، والمنهاج المستقيم، أرسله ربه رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، وافترض الله على العباد طاعته، وتعزيره وتوقيره ومحبته، وجعل الوصول إلى الجنة لا يكون إلا من طريقه، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فصلي الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الصحابة أجمعين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد،**

فقد دعا الله الحكيم الخبير جل وعلا عباده إلى النظر في ملكوته، والتفكير في مخلوقاته والتأمل في بديع صنعه وآياته؛ ليكون ذلك دليلًا لكل عاقل على توحيد الله

openkandil.com

وعظمته وكبريائه وقدرته وحكمته جل جلاله، قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١٠ - ١١]. والآيات في الحث على النظر في ملكوت الله، والتفكر في خلقه والاعتبار بما أودع الله فيه من حكم وآيات كثيرة شهيرة، ولكن يبقي الانفعال بها، والاستجابة لها، وطاعة أمر الله فيها؛ فيتجه القلب إلى الاعتبار والتدبر، وفهم هذه الآيات الكونية، وحينئذٍ يمتلئ القلب إيمانًا وإذعانًا وذُلًّا واستكانة وخضوعًا لله جل جلاله، ويتوجه إلى الله -عَزَّ وَجَلَ- بالعبودية الخالصة حبًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا وإخباتًا وإنابةً، وغير ذلك من معاني العبودية التي ما خلق الله الخلق إلا من أجلها أو ما كلفهم وأمرهم إلا بها.

وكم تندهش النفوس حينما تقف على روعة الخلق، وعظمة ما أودع الله فيه من حكم وعجائب، ولا يملك عاقل قط أمام هذه البراهين الربانية المنظورة إلا أن يذعن بالاستسلام لله، والمسارعة إلى طاعته، وامتثال أمره، والتقرب إليه بما يرضيه جل جلاله. وهذا التفكر يقود صاحبه إلى علوم نافعة يعرف من خلالها كمال قدرة الله وقوته، وعزته وعظمته، وغناه ورحمته، ولطفه في تدبيره وحكمته في قضائه، وكلما ازداد تفكر المرء واعتباره ومطالعته لهذه المعاني، ازداد ذلك العلم في قلبه، وزاده هذا العلم ذلًا لربه، وخشوعًا له وخشية له وتوكلًا عليه وإنابة إليه، وثباتًا على أمره، وسعيًا في مرضاته، وبذلًا في سبيله، وحينئذ يكون عبدًا ربانيًا أينما كان، تتفجر ينابيع الحكمة من لسانه، وتنزوي المنكرات استحياءً من حجته وبيانه، وتقر العيون بالنظر إليه، وتأنس الأرواح بمجالسته،

obeikandl.com

وتزداد القلوب إيمانًا بالسماع منه وعنه وهذه الثمرة من أكرم ثمار التفكر، فاللهم ربنا أصلحنا وأصلح بنا، واهدنا ويسِّر الهدي لنا.

**أيها الأحبة!** هذه رحلة إيمانية رفيعة المستوى، رائعة المحتوى، عظيمة الأثر غنية بمعاني الإيمان، جمعت شتاتها وألفت بينها من كلام عالم محقق، وإمام رباني متقن، معروف بين أهل العلم بالبراعة والرسوخ، والفهم الدقيق، والنظر الثاقب، والمهارة الفريدة، والعلم الغزير، ذلكم هو شيخ الإسلام العلامة الإمام شمس الدين، قيم الجوزية عليه رحمة الله وأسأل الله أن يرفع درجته في الجنة جزاء ما قدم من علم نافع ورثته الأمة جيلًا بعد جيل. **لماذا هذا الكتاب؟**

من الأغراض والمقاصد التي من أجلها جُمعت مادة هذا الكتاب وطرحت بهذه الصورة التي تراها الآن ما يلي:

١- وقوف القلب على عظمة الله -جَلَّ جَلاله- وكمال قدرته وقوته ومشاهدة آثار ذلك.

٢- معرفة حكمة الله في قضائه ولطفه بعباده ورحمته بهم.

٣- رسالة إلى كل عاقل في هذا العالم بأن هذا الكون لا يمكن أن يكون له إلا رب واحد وهو الله جَلَّ جَلاله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١].

٤- دعوة إلى الإذعان بالعبودية لله، والانقياد لأمره وحده؛ فهو الذي خلق الخلق، وهو وحده الذي يستحق أن يأمر وينهى، ويطاع ويعبد، ويعظم ويمجَّد، ويحمد ويوحَّد.

٥- تبصرة للمؤمنين بحقائق هذا الكون، وهداية للحائرين إلى روعة التدبير والحكمة الإلهية.

٦- ردع النفوس عن غيِّها، وإنابتها إلى ربها؛ وذلك بمعرفتها أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه بكل شيء محيط، وأنه لا يعجزه شيء.

obeikandl.com

٧- زيادة الإيمان واليقين في القلوب بالنظر في ملكوت الله والتدبر في بديع صنعه.

٨- تعريف الإنسان بحقيقة نفسه ومدى ضعفه وعجزه وفقره وذله وأنه لا يمثل في ملك الله شيئًا مذكورًا. فيعرف حجمه في هذا الوجود وكمال غنى الله عنه وعن عمله.

٩- جمع مادة أصيلة متكاملة عن التفكر في آيات الله، ومخلوقاته من كلام عالم رباني معروف بعلو المكانة ودقة الفهم.

١٠- إمتاع الروح والتسرية عن النفس بالنظر والتأمل في روائع خلق الله جَلَّ جَلَاله.

١١- بيان عمق علم السلف وسعة اطلاعهم وبعد نظرهم ودقة فهمهم وما كانوا عليه من علم وعمل.

١٢- إبراز عظمة الإسلام واستيعابه وشموله لكل نواحي الحياة دقيقها وجليلها.

١٣- بيان أنه لا تعارض بين الشريعة الربانية ومقتضيات العقل السليم ومعطيات العلم الحديث الدقيق: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

هذا، وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم وأن يجعله زادًا صالحًا ليوم القدوم عليه والوقوف بين يديه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وبحمده.

**والحمد لله رب العالمين**

وكتبه

**سيد عطوة**

غفر الله له

openkanal.com

## ترجمة الإمام ابن قيم الجوزية

هذا الإمام علم من أعلام الصلاح والإصلاح، وأحد أئمة العلماء وسادة الفقهاء والمفتين، إنه بحرٌ من العلم، وسيل من الأدلة والحجج، ونهر متدفق من الحق وشمس في سماء العلم ساطعة منيرة، لا يزال علمه باقيًا يبث في الأمة فهمًا وبصيرة، إنه صاحب العبقرية الفذة، والفهم العميق السديد، والنظرة الفاحصة الرشيدة، والشخصية العظيمة الفريدة،إنه ذلكم الغواص الماهر الذي يفتش عن طائف المعارف ثم يخرجها للناس وضَّاءة تطيب بها النفوس، وتطرب لها الأذان، وتَقَر بُّها العيون، وتسعد بها القلوب ذلكم الإمام العلم إذا تكلم في باب أطنب وأجاد وأطاب، وأدهش العقول والألباب وأتعب من جاء بعده في أن يأتى في المسألة بجديد وذلك لرسوخ قدمه وتبحره وسعة حفظه وذكائه وكم من نبلاء العلماء كان من أسباب تقدمهم وتفوقهم اغترافهم من معين علمه، ومطالعتهم لأبحاثه وكتبه، فلله درُّه من إمام عالم عامل، عابد مجاهد، انتشر ذكره في الآفاق، وسرت بركة علمه في الناس سير الماء النمير، وإليكم هذه الترجمة المنتقاة الموجزة للتعريف بابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ.

**اسمه ومولده:** هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير بن مكي بن الوليد الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي.

### كنيته ولقبه:

**كنيته:** أبو عبد الله، **ولقبه:** شمس الدين، ولد في بيت علم وصلاح وذلك في عام ٦٩١ في قرية زرع، والجوزية مدرسة كانت بدمشق كان والده أبو بكر بن أيوب قيمًا عليها؛ ولذلك سمي: ابن قيم الجوزية.

obeikandl.com

**ثناء العلماء عليه:**

لقد رزق الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا الإمام ذكاءَ نادرًا، وفهمًا دقيقًا، وفكرًا وقادًا، وحافظة واسعة، واطلاعًا مدهشًا، وغير ذلك من المنح الربانية التي كانت سببًا في نبوغه وتفوقه، واستحق ثناءً جميلًا وذكرًا حميدًا، وقبولًا عظيمًا وإليكم هذا جانب من ثناء علماء عصره.

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الفاضلة. وكان ابن كثير يعتز بصحبته له ومحبته له فيقول: وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه.

**وقال:** سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمة من الديار المصرية في سنة ٧١٢هـ لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علمًا جمًا مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلًا، ونهارًا، وكثيرة الابتهال.

**قال ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ اللَّهُ: تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عالمًا بالتفسير لا يجاري فيه، وبأصول الدين، وإليه فيه المنتهى، والحديث، ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه ما لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالمًا بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل من هذه الفنون اليد الطولي.

**وقال الذهبي:** عني بالحديث ومتونه ورجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين.

**وقال الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: برع في شتي العلوم وفاق الأقران، واشتهر في الآفاق، وتبَّحر في معرفة مذهب السلف.

obeikandl.com

**وقال الحافظ ابن ناصر الدين الشافعي:** الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أحد المحققين، علم المصنفين، نادرة المفسرين، له التفاسير الأنيقة، والتأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة.

**وقال القاضي برهان الدين الزرعي:** ما تحت أديم السماء أوسع علمًا منه، ودرس بالصدرية وأمَّ بالجوزية مدة طويلة وكتب بخطه مالا يوصف كثرة.

**وقال ابن حجر:** كان جرئ الجنان، واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف.

### عبادته وأخلاقه:

**قال الحافظ ابن كثير:** لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطليها جدًا، ويمد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ.

**وقال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعال النهار ويقول: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي، وكان يقول: بالصبر والفقر تنال الإمامة في الدين، **وكان يقول:** لابد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه.

**وقال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ذا عبادة وتهجُّد وطول صلاة إلى الغاية القصوى وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علمًا ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرى في معناه مثله وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلًا

obeikandl.com

بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق، والمواجيد الصحيحة، وحج مرات وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه شدة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه[١].

### شيوخه وتلاميذه:

**من شيوخه**: والده أبو بكر بن أيوب وأبن بد الدايم، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشهاب العابر، وابن الشيرازي، والبهاء بن عساكر، والبدر بن جماعة، وابن مفلح، والمّزي، وغيرهم كثير.

**ومن تلاميذه**: الحافظ ابن كثير، والحافظ الذهبي والحافظ ابن رجب والسبكي، وابنه برهان الدين، وابنه الآخر عبد الله بن محمد والحافظ ابن الهادي وغيرهم كثير.

### آثاره العلمية ومؤلفاته:

١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

٢- أحكام أهل الذمة.

٣- أسماء مؤلفات ابن تيمية.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين.

٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.

٦- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان.

٧- بدائع الفوائد.

---

(١) **إشارة مهمة**: أكثر العلماء الذين برعوا وأثروا في تاريخ الأمة وانتشر ذكرهم وفضلهم إنما كان من أهم أسباب ذلك ما كان لهم من عبادة وتأله ونسك صادق، وعمل بالعلم، وأحوال إيمانية عالية كل ذلك وغيره غرس في نفوسهم النبل والعزة والخشية والشجاعة، والإخلاص والصدق، قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق [صفة الصفوة (٤/ ١٢٢)].

obeikandi.com

٨- التبيان في أقسام القرآن.

٩- تحفة المودود في أحكام المولود.

١٠- تهذيب مختصر سنن أبى داود.

١١- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.

١٢- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١٣- حكم تارك الصلاة.

١٤- الداء والدواء.

١٥- الرسالة التبوكية.

١٦- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٧- زاد المعاد في هدي خير العباد.

١٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

١٩- طريق الهجرتين.

٢٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

٢١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

٢٢- الفروسية.

٢٣- الفوائد.

٢٤- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.

٢٥- مدارج السالكين.

٢٦- مفتاح دار السعادة.

٢٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

٢٨- الوابل الصيب من الكلم الطيب.

٢٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

obeikandl.com

**وفاته:**

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الخميس ثالث عشر من شهر رجب وقت أذان العشاء لسنة إحدى وخمسين وسبعمائة سنة ٧٥١، وكمل له من العمر ستون سنة، وصلى عليه من الغد بعد صلاة الظهر بالجامع الأموي، وقد كانت جنازته حافلة شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير عند والدته رحمهما الله تعالى[١].

(١) هذه الترجمة مستفادة من المراجع التالية: «ذيل طبقات الحنابلة»، «البدر الطالع»، «الدرر الكامنة»، «البداية والنهاية»، «الأعلام» للزركلي، ابن القيم الجوزية للدكتور/ بكر أبو زيد، شذرات الذهب لابن العماد.

obeikandl.com